يَسُوعُ، مِرْساةٌ لِلنَّفْسِ

السَّبْت بَعْدَ الظُّهْر

المراجع الأسبوعية: عبرانيين ٦: ٤ - ٦، متى ١٦: ٢٤، رومية ٦: ٦، عبرانيين ١٠: ٢٦ - ٢٩، عبرانيين ٦: ٩ - ١٣، عبرانيين ٦: ١٧ - ٢٠).

آية الحفظ: «الَّذِي هُوَ لَنَا كَمِرْسَاةٍ لِلنَّفْسِ مُؤْتَمَنَةٍ وَثَابِتَةٍ، تَدْخُلُ إِلَى مَا دَاخِلَ الْحِجَابِ، حَيْثُ دَخَلَ يَسُوعُ كَسَابِقٍ لأَجْلِنَا، صَائِرًا عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادَقَ، رَئِيسَ كَهَنَةٍ إِلَى الأَبَدِ» (عبرانيين ٦: ١٩ و٢٠).

إن الآيات الواردة في الرسالة إلى العبرانيين ٥: ١١ - ٦: ٢٠ لا توجد صلة بينها وبين الشرح اللاهوتي الذي يقدمه لنا الكاتب عن كهنوت الرب يسوع نيابةً عنا. فنجد أن بولس في هذه الآيات يضع تحذيرًا قويًا وصارمًا حول الخطر الكائن في الارتداد عن المسيح.

فمن الواضح أن شعب الكنيسة كانوا عرضة لخطر السقوط في منحدر التحسُّر على الذات والارتداد عن الإيمان. ولذلك يخشى الرسول بولس أن الذين يقرأون رسالته ويسمعونها قد تبلدت حواسهم الروحية بسبب التحديات والظروف الصعبة التي كانوا يواجهونها، وأنهم لهذا السبب قد توقفوا عن النمو في فهمهم للإنجيل واختباره في حياتهم.

ألسنا نحن أيضًا معرَّضين لهذا الخطر المتمثل في الشعور باليأس والقنوط بسبب التجارب والضيقات التي نمر بها، مما يجعلنا نرتد ونبتعد عن إيماننا؟

إلا أن هذا التحذير الصارم يبلغ ذروته برسالة تعزية ممتلئة بالمحبة والحنان والرأفة. فنجد أن بولس يعرب عن ثقته وإيمانه في قارئي رسالته ويرفع شخص الرب يسوع باعتباره تجسيدًا لوعد الخلاص غير القابل للكسر الذي أعطاه الله لهم (عبرانيين ٦: ٩ - ٢٠). كما نرى أن رسالة التحذير والتعزية هذه تتكرر أيضًا في عبرانيين ١٠: ٢٦ - ٣٩.

سنركز في دراستنا هذا الأسبوع على هذه الرسالة، ولا سيما على كلمات التعزية والتشجيع القوية التي يقدمها لنا الرب يسوع.

*نرجو التعمق في موضوع هذا الدرس استعدادًا لمناقشته يوم السبت القادم الموافق ١٢ شباط (فبراير).

تَذَوُّق صَلَاح الْكَلِمَة

اقرأ عبرانيين ٦: ٤ و٥. ماذا أُعطي للمؤمنين في المسيح وهم أمناء له؟

إن الاستنارة الروحية التي يتحدث عنها الرسول تعني اختبار الاهتداء (عبرانيين ١٠: ٣٢)، وهي تعبر عن اختبار أولئك الذين تحولوا من ظلمات سلطان الشيطان إلى نور الله (أعمال ٢٦: ١٧ و١٨)، كما أنها تشير إلى التحرر من الخطية (أفسس ٥: ١١) والجهل (تسالونيكي الأولى ٥: ٤ و٥). واستخدام الكلمة بصيغة «الفعل» يوحي بأن هذه الاستنارة هي عمل أو فعل إلهي حققه الرب يسوع الذي هو «بهاء مجده» (عبرانيين ١: ٣).

والتعبيران «ذَاقُوا الْمَوْهِبَةَ السَّمَاوِيَّةَ» و «صَارُوا شُرَكَاءَ الرُّوحِ الْقُدُسِ» تعبيران مترادفان ويحملان نفس المعنى. والموهبة أو العطية الإلهية قد تشير إلى نعمته (رومية ٥: ١٥) أو إلى الروح القدس الذي يمنح الله بواسطته هذه النعمة (أعمال ٢: ٣٨). وأولئك الذين «ذاقوا» الروح القدس (يوحنا ٧: ٣٧ – ٣٩ وكورنثوس الأولى ١٢: ١٣) قد اختبروا «نعمة» الله، بما في ذلك القدرة على إتمام إرادته ومشيئته (غلاطية ٥: ٢٢ و٢٣).

وأولئك الذين «ذَاقُوا كَلِمَةَ اللهِ الصَّالِحَةَ» فإنهم يختبرون حق الإنجيل اختبارًا شخصيًا (بطرس الأولى ٢: ٢ و٣). و«قُوَّاتِ الدَّهْرِ الآتِي» تشير إلى الآيات والمعجزات التي يجريها الله للمؤمن في المستقبل وتتضمَّن القيامة (يوحنا ٥: ٢٨ و٢٩) وتغيُّر أجسادنا والحياة الأبدية. إلا أن المؤمنين بدأوا في تذوقها في الوقت الحاضر. فهم قد اختبروا قيامةً روحيةً (كولوسي ٢: ١٢ و١٣) وأذهانًا متجددةً (رومية ١٢: ٢) وحياةً أبديةً في المسيح (يوحنا ٥: ٢٤).

ربما كان بولس يفكر في جيل الصحراء (أي شعب الله قديمًا) الذي اختبر نعمة الله وخلاصه. لقد أُستنير جيل الصحراء بعمود النار (نحميا ٩: ١٢ و١٩؛ مزمور ١٠٥: ٣٩)، وتمتعوا بعطية المن السماوية (خروج ١٦: ١٥)، واختبروا الروح القدس (نحميا ٩: ٢٠) وذاقوا «كلمة الله الصالحة» (يشوع ٢١: ٤٥)، و«قوات الدهر الآتي»، وذلك في «الآيات والعجائب» التي أُجريت لخلاصهم من مصر (أعمال ٧: ٣٦). ومع ذلك، فبولس يبين لنا أنه مثلما ارتد جيل الصحراء عن الله قديمًا بالرغم من هذه الأدلة والبراهين (سفر العدد ١٤: ١ – ٣٥)، فقد كان جمهور العبرانيين مُعرضين لنفس الخطر وفعل الشيء ذاته، على الرغم من كل الأدلة والبراهين على نعمة الله وإحساناته التي كانوا يتمتعون بها.

ما هو اختبارك من جهة الأمور التي تتحدث عنها هذه الآيات الواردة في عبرانيين الأصحاح السادس؟ هل اختبرت على سبيل المثال الاستنارة التي يتحدث عنها النص؟

لا يمكن تجديدهم

قارن عبرانيين ٦: ٤ – ٦ بمتى ١٦: ٢٤ ورومية ٦: ٦ وغلاطية ٢: ٢٠ وغلاطية ٥: ٢٤ وغلاطية ٦: ١٤. ما الذي تظهره هذه المقارنة من جهة ما يعنيه صلب المسيح؟

يشدد النص الأصلي باللغة اليونانية على كلمة «لا يمكن». فأولئك الذين سقطوا وارتدوا لا يمكن لله أن يُجدِّدهم ثانيةً ويرُدَّهم إلى التوبة «إِذْ هُمْ يَصْلِبُونَ لأَنْفُسِهِمِ ابْنَ اللهِ ثَانِيَةً» (عبرانيين ٦: ٦). ويريد بولس التأكيد على عدم وجود أي سبيل آخر للخلاص إلا من خلال المسيح (أعمال ٤: ١٢). فلا يمكن للخلاص أن يتحقق بأي سُبُل أخرى مثلما لا يُمكن أن الله يكذب (عبرانيين ٦: ١٨) أو محاولة إرضاء الله بدون إيمان (عبرانيين ١١: ٦).

إن صلب ابن الله ثانيةً هو تعبير مجازي يسعى لوصف شيء يحدث في العلاقة الشخصية بين الرب يسوع والمؤمن.

عندما قام القادة الدينيون بصلب الرب يسوع، فعلوا ذلك لأن الرب يسوع كان يُشكِّل تهديدًا لسيادتهم وسلطانهم وهيمنتهم. ولذلك كانوا يأملون في القضاء على الرب يسوع والتخلص منه بصفته عدوًا قويًا وخطيرًا. وبالمثل فإن الإنجيل يتحدى سيادة الفرد وحرية إرادته. فجوهر الحياة المسيحية يتمثل في حمل الصليب وإنكار الذات (متى ١٦: ٢٤). وهذا يعني صلب «العالم» (غلاطية ٦: ١٤) و«الإنسان العتيق» (رومية ٦: ٦) وصلب «الجسد مع الأهواء والشهوات» (غلاطية ٥: ٢٤). إن الهدف من الحياة المسيحية هو الاجتياز في نوعٍ من الموت، وإن لم نختبر هذا الموت اختبارًا شخصيًا، فلا يمكننا قبول الحياة الجديدة التي يريد الله أن يمنحنا إياها (رومية ٦: ١ – ١١).

إن الصراع بين يسوع والنفس هو صراع حتى الموت (رومية ٨: ٧ و٨؛ غلاطية ٥: ١٧). إنها معركة صعبة والانتصار فيها لا يتحقق في الحال. لا تشير هذه النصوص إلى الإنسان الذي يفشل أحيانًا في صراعه مع «الإنسان العتيق» و«الجسد». فهذه الخطية تشير إلى الشخص الذي بعد أن اختبر الخلاص الحقيقي والأشياء التي يعنيها ذلك (عبرانيين ٦: ٤ و٥)، يقرر في نفسه أن يسوع يمثّل تهديدًا لنوع الحياة التي يريد أن يعيشها ويشرع في قتل علاقته معه. أي أنه طالما أن الشخص لا يختار الارتداد أو الابتعاد ابتعادًا تامًا عن المسيح، فلا يزال هناك رجاء في الخلاص.

ما الذي يعنيه الموت عن النفس وحمل الصليب؟ وما هو أكثر شيء تجد صعوبة في تسليمه لسلطان المسيح وقوته؟

لاَ تَبْقَى بَعْدُ ذَبِيحَةٌ عَنِ الْخَطَايَا

يشبه التحذير الوارد في عبرانيين ٦: ٤ – ٦ التحذير الوارد في عبرانيين ١٠: ٢٦ – ٢٩. ويوضح بولس أن رفض ذبيحة يسوع سيترك قارئي الرسالة بدون سبيل في غفران خطاياهم لأنه لا يوجد سبيل آخر لهذا الغفران غير يسوع (عبرانيين ١٠: ١ – ١٤).

اقرأ عبرانيين ١٠: ٢٦ – ٢٩. ما هي الطرق الثلاثة التي يصف بها الكاتب الخطية التي لا توجد مغفرةً لها؟

لا يقول الكاتب أنه لا توجد مغفرة لأي ذنب يُرتكب بعد معرفة الحق وقبوله. فقد عيَّن الله يسوع كوسيط وشفيع لنا (يوحنا الأولى ٢: ١)، وبه ننال مغفرة الخطايا (يوحنا الأولى ١: ٩). أما الخطية التي لا توجد ذبيحة أو كفارة لها فنجدها في الأصحاح العاشر من سفر العبرانيين، وهي تنطبق على من «دَاسَ ابْنَ اللهِ، وَحَسِبَ دَمَ الْعَهْدِ الَّذِي قُدِّسَ بِهِ دَنِسًا، وَازْدَرَى بِرُوحِ النِّعْمَةِ» (عدد ٢٩). دعونا نستعرض معنى هذه الكلمات.

عبارة «داس ابن الله» (عبرانيين ١٠: ٢٩) تصف رفض الإنسان لحكم الرب يسوع. ذكَّر لقب «ابن الله» جمهور العبرانيين بأن الله قد عيَّن يسوع وأقامه عن يمينه ووعده بأن يجعل أعداءه «موطئًا لقدميه» (عبرانيين ١: ١٣؛ راجع أيضًا عبرانيين ١: ٥ ١٢ و١٤). والدوس على الرب يسوع يوحي بأن الإنسان المرتد يتعامل مع يسوع باعتباره عدوًا. وفي سياق البرهان أو الحجة التي تقدمها الرسالة (عبرانيين ١: ١٣)، يمكن القول بأنه من جهة حياة الإنسان المرتد، فقد خُلِع يسوع عن العرش (الذي يشغله الآن الإنسان المرتد نفسه) ووضعه الإنسان المرتد موطئًا لقدميه. هذا هو ما أراد لوسيفر أن يفعله في السماء (إشعياء ١٤: ١٢ – ١٤) وما سيحاول «إنسان الخطية» فعله في المستقبل (تسالونيكي الثانية ٢: ٣ و٤).

وعبارة «حَسِبَ دم العهد الذي قُدِّس به دَنِسًا» تشير إلى رفض ذبيحة المسيح (عبرانيين ٩: ١٥ – ٢٢)، وتوحي بأن دم المسيح يخلو من القوة على التطهير من الخطية.

وعبارة «ازدرى بروح النعمة» هي عبارة قوية ومؤثرة للغاية. فالمصطلح اليوناني «إنيبريساس» (بمعنى يزدري أو يُغضِب) ينطوي على مظهر من مظاهر الغطرسة والتي تصل إلى حد التطاول والوقاحة والتكبر. وهذه العبارة تتعارض بالكامل مع وصف الروح القدس بأنه «روح النعمة». وهي تشير إلى أن الإنسان المرتد يستجيب لنعمة الله بالإهانة والازدراء.

وبذلك يكون الإنسان المرتد في وضع يتعذر الدفاع عنه، إذ إنه يرفض الرب يسوع ويرفض ذبيحته ويرفض الروح القدس.

أشياء أفضل

وبعد التحذير القوي والصادق الوارد ذكره في عبرانيين ٦: ٤ – ٨، يعرب بولس عن ثقته في أن قارئي الرسالة لم يرتدوا عن الابن، ولن يرتدوا عنه في المستقبل. ويثق أن الشعب الذي يوجه الرسالة إليه سيقبل التحذير وينتج الثمار الضرورية. فهم مثل «الأرض» التي يزرعها الله وتنتج الثمار التي يتوقعها. هؤلاء الناس سينالون البركة من الله (عبرانيين ٦: ٧)، ألا وهي بركة الخلاص (عبرانيين ٦: ٩).

اقرأ عبرانيين ٦: ٩ – ١٢. ضع قائمة بالأشياء الجيدة التي فعلها جمهور الرسالة إلى العبرانيين والأشياء التي ما زالوا يفعلونها واشرح ما الذي تعنيه هذه الأشياء.

يُظهر المؤمنون محبتهم تجاه «اسم» الله، أي تجاه الله نفسه، من خلال خدمتهم للقديسين. لم تكن هذه أفعالاً منعزلة في الماضي، بل أفعالاً مستمرةً امتدت إلى الحاضر. إن الأفعال غير الاعتيادية لا تكشف عن الصفات الحقيقية للشخص، والدليل الأكبر على محبة الله لا يوجد في الأفعال «الدينية» في حد ذاتها، وإنما في أفعال المحبة تجاه إخوتنا وأخواتنا من البشر، ولا سيما أولئك الذين يعانون من العوز والاحتياج (متى ١٠: ٤٢ ومتى ٢٥: ٣١ – ٤٦). ولهذا السبب يحث بولس المؤمنين ألا ينسوا فعل الخير (عبرانيين ١٣: ٢ و١٦).

راجع الآية الواردة في عبرانيين ٦: ١٢. تحذر هذه الآية المؤمنين من أن يصيروا «متباطئين» أو «كسالى»، وهو ما يتصف به أولئك الذين يفشلون في النضوج ومَنْ هم عرضة لخطر السقوط والارتداد (عبرانيين ٥: ١١ وعبرانيين ٦: ١٢). إن الرجاء لا يمكن إبقاؤه حيًا بواسطة الممارسات الفكرية للإيمان، وإنما بواسطة الإيمان الذي يتم التعبير عنه بأعمال المحبة (رومية ١٣: ٨ – ١٠).

يريد بولس من قارئي الرسالة أن يتمثلوا بالذين بالإيمان والأناة يرثون المواعيد. وقد عرفنا من خلال دراستنا أنه قدَّم جيل الصحراء (أي شعب الله قديمًا) كمثال سلبي لأولئك الذين، بسبب قلة إيمانهم وعدم أناتهم وقدرتهم على التحمل، لم يرثوا ما قد وُعِدوا به. ثم نجده يقدِّم إبراهيم (عبرانيين ٦: ١٣ – ١٥) كنموذج للإنسان الذي ورث المواعيد «بالإيمان والصبر». وفي عبرانيين ١١ تطول القائمة المحتوية على نماذج وأمثلة إيجابية من أبطال الإيمان، وهذه القائمة تبلغ ذروتها في شخص الرب يسوع في عبرانيين ١٢ باعتباره أعظم نموذج للإيمان والصبر (عبرانيين ١٢: ١ – ٤). وفي سفر الرؤيا ١٤: ١٢ نجد أن الإيمان والصبر وحفظ الوصايا هي من صفات القديسين في الأيام الأخيرة.

في بعض الأحيان يتعيَّن علينا تقديم كلمات إنذار وتحذير لأولئك الذين نحبهم. ماذا يمكننا أن نتعلم من الرسول فيما يتعلق بإنذار الآخرين وتشجيعهم؟

الخميس

١٠ شباط (فبراير)

يسوع، مرساة للنفس

يختتم الرسول بولس تحذيره عن الارتداد وكلام التعزية من جهة المحبة والإيمان بعرض جميل وقوي حول اليقين الذي لنا في المسيح.

اقرأ عبرانيين ٦: ١٧ – ٢٠. كيف ضمن الله وعوده لنا؟

ضمن الله وعوده لنا بطرق عديدة. أولاً، ضمن الله وعده بقَسَمٍ (عبرانيين ٦: ١٧). وفقًا لأسفار الوحي المقدس، صار القسم الذي قطعه الله لإبراهيم وداود الأساس الذي تقوم عليه الثقة في نعمة الله المستمرة على إسرائيل. عندما حاول موسى أن يضمن أن الله يصفح عن إسرائيل بعد ارتدادهم بالعجل الذهبي، نجد أنه قام بالإشارة إلى القسم الذي قطعه الله إلى إبراهيم (راجع خروج ٣٢: ١١ – ١٤ وتكوين ٢٢: ١٦ – ١٨). والقوة التي كان يتضمنها التماسه هي أن الله عندما يقطع قسمًا، لا يمكنه الرجوع عنه (رومية ٩: ٤ ورومية ١١: ٢٨ و٢٩).

وبالمثل، فعندما تشفع صاحب المزمور أمام الله من أجل إسرائيل، نجد أنه قام بذكر القسم الذي قطعه الله لداود. فنقرأ في ذلك المزمور أن الله قال: «لاَ أَنْقُضُ عَهْدِي، وَلاَ أُغَيِّرُ مَا خَرَجَ مِنْ شَفَتَيَّ. مَرَّةً حَلَفْتُ بِقُدْسِي، أَنِّي لاَ أَكْذِبُ لِدَاوُدَ: نَسْلُهُ إِلَى الدَّهْرِ يَكُونُ، وَكُرْسِيُّهُ كَالشَّمْسِ أَمَامِي. مِثْلَ الْقَمَرِ يُثَبَّتُ إِلَى الدَّهْرِ. وَالشَّاهِدُ فِي السَّمَاءِ أَمِينٌ» (مزمور ٨٩: ٣٤ – ٣٧). وفقًا للعهد الجديد، تحقق كلا القسمين في يسوع، الذي هو نسل إبراهيم والذي صَعِدَ إلى السماء وجلس على كرسي داود (غلاطية ٣: ١٣ – ١٦ ولوقا ١: ٣١ – ٣٣ و٥٤ و٥٥).

ثانيًا، ضمن الله وعوده لنا بإجلاس يسوع عن يمينه. فصعود المسيح إلى السماء يهدف إلى تأكيد الوعد المُبرَم للمؤمنين لأن يسوع صَعِد كسابق لأجلنا (عبرانيين ٦: ٢٠). وبالتالي فإن الصعود يكشف لنا اليقين بخلاص الله لنا. لقد اقتاد الله يسوع إلى المجد من خلال اختبار «الموت لأجل كل واحد» لكي يأتي «بِأَبْنَاءٍ كَثِيرِينَ إِلَى الْمَجْدِ» (عبرانيين ٢: ٩ و١٠). وحضور المسيح أمام الآب هو «مرساة للنفس» (عبرانيين ٦: ١٩)، مثبَّتة في عرش الله. والكرامة رجعت لحكم الله لأنه استطاع أن يتمم وعده لنا بيسوع. أنحتاج إذن لمزيد من اليقين؟

بماذا تشعر عندما تظن أن الله قد قطع قسمًا لك؟ ولماذا ينبغي أن يمنحك هذا الفكر بمفرده يقين الخلاص، حتى عندما تشعر بعدم استحقاقك له؟

الجمعة

١١ شباط (فبراير)

لمزيد من الدرس: اقرأ لروح النبوة، الفصل الذي بعنوان «يوحنا الحبيب»، صفحة ٣٨٣-٣٨٨، في كتاب أعمال الرسل، والفصل الذي بعنوان «يهوذا»، صفحة ٦٩٩-٧٠٦، في كتاب مشتهى الأجيال.

«إن محاربة الأثرة فينا هي أعظم معركة دارت رحاها إطلاقًا، لأن تسليم النفس لله وإخضاع المشيئة لمشيئته يستلزمان حربًا عوانًا وصرعًا عنيفًا، والنفس لا تتجدد في القداسة ما لم تخضع لربها خضوعًا مطلقًا» (روح النبوة، طريق الحياة، صفحة ٣٧).

«كان يوحنا يتوق لأن يكون كالمسيح، وتحت قوة محبته المغيِّرة صار وديعاً ومتواضعاً. لقد اختفت الذات في يسوع. وتفوق يوحنا على زملائه في كونه سلم نفسه لقوة تلك الحياة العجيبة.

«إن تلك المحبة العميقة التي كان يوحنا يكنها للمسيح قادته إلى أن يشتهي القرب منه دائماً. لقد أحب المخلص تلاميذه الاثني عشر كلهم، ولكن روح يوحنا كانت أكثر قبولاً واستجابة من الجميع. كان أصغر سناً من الباقين وقد فتح قلبه ليسوع بثقة كثقة الأطفال أكثر من الباقين. وهكذا صار في حالة عطف وتقارب مع المسيح، وبواسطته أُبلغت للشعب أعمق التعاليم الروحية التي نطق بها المخلص...

«وجمال القداسة الذي قد غيَّره أضاه ببهاء كبهاء المسيح من وجهه. وفي تعبد وحب رأى المخلص إلى أن صار التشبه بالمسيح والشركة معه رغبته وشوق قلبه الوحيد. وقد انعكست صفات سيده في شخصه.» (روح النبوة، أعمال الرسل، صفحة ٣٨٦، ٣٨٧).

أسئلة للنقاش

١. تقدم حياة يوحنا، التلميذ المحبوب، وحياة يهوذا الإسخريوطي تباينًا مهمًا. عندما رأى يسوع يوحنا وأخيه، دعاهما بوانرجس، أو ابني الرعد. كان يوحنا يعاني من عيوب جسيمة في شخصيته، ويهوذا أيضًا كانت به عيوب، لكنها لم تكن بنفس الجسامة أو الجدية التي كانت تتسم بها عيوب يوحنا. ما هو السبب الذي جعل يوحنا يتحوَّل إلى صورة يسوع في حين أن يهوذا ارتكب الخطية التي ضد الروح القدس؟ وما هو سبب الاختلاف؟

٢. يدعو الله المؤمنين أن يحملوا صليبهم ويتبعوه. ما هو الفرق بين حمل الصليب والخضوع للإساءة من الآخرين؟

٣. لماذا يطلب الله منا أن نسلمه حياتنا تسليمًا كاملاً؟ وما هي العلاقة بين الإرادة الحرة والخلاص؟